تأثير شعائر عاشوراء في الوضع الإجتماعي في إيران خلال العهدين الصفوي والقاجاري

صباح عبد الحر زغير الجنابي
طالب دكتوراه، قسم تاريخ الشيعة الاثني عشرية، جامعة الأديان والمذاهب، قم، ايران
aljnabisabah27@gmail.com
الدكتور سيد محمد حسيني (مشرف اول)
أستاذ مساعد، قسم تاريخ الاسلام، جامعة الأديان والمذاهب، قم، ايران
sm.hosseini2@urd.ac.ir
الدكتور حامد قرائتي (مشرف ثاني)
أستاذ مساعد، قسم تاريخ الاسلام، جامعة باقر العلوم، قم، إيران
Charaati.1359@yahoo.com
الدكتور محمد زرقاني (المشاور)
أستاذ مساعد، قسم تاريخ التشيع، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
m.zarqani@urd.ac.ir

The impact of Ashura rituals on the social situation in Iran during the Safavid and Qajar eras

Sabah Abdul-Har Zaghir Al-Janabi
PhD student , Department of Twelver Shia History , University of Religions and Sects , Qom , Iran
Dr. Seyyed Mohammad Hosseini (Senior Supervisor)
Assistant Professor , Department of History of Islam , University of Religions and Sects , Qom , Iran
Dr. Hamed Qaraati (Second Supervisor)
Assistant Professor , Department of Islamic History , Baqir al-Uloom University , Qom , Iran
Dr. Mohammad Zarqani (Consultant)
Assistant Professor , Department of Shia History , University of Religions and Sects , Qom , Iran

الملخص:-

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تأثير شعائر عاشوراء في الوضع الاجتماعي في إيران خلال الفترتين الصفوية والقاجارية. تُعد شعائر عاشوراء جزءًا محوريًا من الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الشيعي، وقد شهدت تطورًا ملحوظًا في الشكل والمضمون عبر الزمن، متأثرة بالسياقات السياسية والاجتماعية المحيطة. تناول البحث تحليل دور هذه الشعائر في تعزيز الهوية الجماعية والتعبئة الاجتماعية وتأثيرها في مختلف جوانب الحياة الثقافية والسياسية. أظهرت النتائج أن شعائر عاشوراء ساهمت بشكل كبير في تعزيز الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الإيراني، حيث كانت عاملًا أساسيًا في تكريس القيم الشيعية وبناء الانتماء الجماعي. كما لعبت دورًا بارزًا كأداة للتعبئة الجماهيرية، مما أتاح استخدامها في تعزيز الولاء للحكومات أو في مواجهة الظلم السياسي والاجتماعي. شهدت هذه الشعائر تطورًا مستمرًا، حيث انتقلت من طقوس بسيطة إلى فعاليات منظمة ذات طابع ثقافي واجتماعي عميق، مثل التعزية والمواكب الحسينية، التي عكست قيم التضحية والعدالة. بالإضافة إلى ذلك، ساهمت شعائر عاشوراء في تعزيز قيم التضامن الاجتماعي بين مختلف الطبقات، حيث كانت تجمع بين الأغنياء والفقراء والنخب والعامة، مما خلق أجواءً من التكافل والتلاحم الاجتماعي. تأثرت هذه الشعائر أيضًا بالسياقات السياسية، حيث استغلتها الحكومات الصفوية والقاجارية لتعزيز شرعيتها السياسية، بينما فرضت عليها القيود في فترات لاحقة، مما يعكس علاقتها الديناميكية مع الأنظمة السياسية. أخيرًا، أظهرت الدراسة أن هذه الشعائر أثرت بشكل كبير في إثراء الفنون والثقافة الشعبية، حيث أصبحت مصدر إلهام للعديد من الأعمال الإبداعية التي عبّرت عن القيم الإنسانية المستمدة من واقعة كربلاء. تؤكد هذه الدراسة أهمية شعائر عاشوراء في بناء الهوية الاجتماعية وتعزيز القيم الإنسانية داخل المجتمعات الشيعية، ودورها المتجدد في التفاعل مع التحولات التاريخية والسياسية.

الكلمات المفتاحية: شعائرعاشوراء، الهوية الثقافية والدينية، التحولات السياسية والاجتماعية، المجتمع الإيراني، التضامن والتلاحم الاجتماعي.

Abstract:-

This study aims to shed light on the impact of Ashura rituals on the social situation in Iran during the Safavid and Qajar periods. Ashura rituals are a central part of the religious and cultural identity of the Shiite community and have undergone significant development in form and content over time, influenced by surrounding political and social contexts. The research analyzes the role of these rituals in strengthening collective identity, promoting social mobilization, and influencing various aspects of cultural and political life. The findings show that Ashura rituals have significantly contributed to enhancing the cultural and religious identity of Iranian society, serving as a fundamental factor in solidifying Shiite values and fostering communal belonging. They also played a prominent role as a tool for mass mobilization, enabling their use in promoting loyalty to governments or resisting political and social injustices. These rituals have experienced continuous evolution, transitioning from simple practices to organized events with profound cultural and social significance, such as ta'ziya (passion plays) and mourning processions, which reflect the values of sacrifice and justice. Furthermore, Ashura rituals have fostered social solidarity among various classes, uniting the rich and the poor, the elites and the general public, creating an atmosphere of mutual support and social cohesion. The rituals were also influenced by political contexts, as the Safavid and Qajar governments utilized them to bolster their political legitimacy. Conversely, they faced restrictions in later periods, reflecting their dynamic relationship with successive political systems. Finally, the study highlights the significant role of Ashura rituals in enriching arts and popular culture, serving as a source of inspiration for numerous creative works that expressed the human values derived from the Karbala tragedy. This study underscores the importance of Ashura rituals in shaping social identity and promoting human values within Shiite communities, as well as their evolving role in interacting with historical and political transformations.

Key words: Ashura rituals, cultural and religious identity, political and social transformations, Iranian society, solidarity and social cohesion.

المقدمة:

تمثّل شعائر عاشوراء واحدة من أبرز المظاهر الثقافية والدينية في المجتمع الشيعي، حيث تُعكس من خلالها القيم الدينية والإنسانية التي ترتبط بذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام. على مرّ العصور، لعبت هذه الشعائر دوراً محورياً في تشكيل الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات الشيعية، ولا سيما في إيران، التي كانت مسرحاً لتحولات جذرية في طقوس عاشوراء فترة الصفوية والقاجارية.

شهدت شعائر عاشوراء تطوراً ملحوظاً خلال العصور المختلفة، بدءاً من العهد الصفوي الذي أسهم في تعزيز هذه الطقوس وإدماجها في البنية الثقافية والسياسية للدولة، وصولاً إلى العهد البهلوي الذي واجه هذه الشعائر بتحديات كبيرة. ورغم هذه التحديات، استمرت هذه الطقوس في أداء دورها الاجتماعي والسياسي، مُشكّلة رابطاً قوياً بين الأفراد والجماعات، ومعززة لروح التضامن والانتماء.

يهدف هذا البحث إلى استعراض تأثير شعائر عاشوراء على الوضع الاجتماعي في إيران فترة الصفوية و القاجارية، مع التركيز على دورها في صياغة الهوية الوطنية وتعزيز القيم الاجتماعية والسياسية. يُظهر البحث كيف أن هذه الشعائر كانت أداة فعالة لتوحيد المجتمع، ومواجهة التحديات السياسية والاجتماعية، فضلاً عن دورها في الحفاظ على التراث الثقافي والديني للأمة الإيرانية.

المبحث الأول

الإطار النظري

المطلب الأول: أهمية شعائر عاشوراء في فترة الصفوية والقاجارية:

كانت شعائر عاشوراء من أبرز المعالم الدينية والثقافية في التاريخ الإيراني، خصوصاً خلال العهدين الصفوي والقاجاري. تميّزت هذه الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى أوائل القرن العشرين بأهمية خاصة لإحياء ذكرى عاشوراء، حيث لعبت هذه الشعائر دوراً مركزياً في صياغة الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الإيراني وتعزيز الوحدة الاجتماعية والسياسية[1].

مع قيام الدولة الصفوية في أوائل القرن السادس عشر، تبنت إيران المذهب الشيعي الإثني عشري كدين رسمي للدولة، مما جعل من عاشوراء وشعائرها حجر الزاوية في هوية الدولة. استخدم الصفويون شعائر عاشوراء كأداة لتعزيز سلطتهم وتوحيد المجتمع تحت راية مذهب أهل البيت عليهم السلام. كانت هذه الشعائر بمثابة تعبير عن الولاء للإمام الحسين عليه السلام ورسالته، وأصبحت مناسبة لتجديد الولاء للقيادة السياسية والدينية للصفويين[٢].

شهدت هذه الفترة تنظيم مجالس عزاء واسعة النطاق، حيث كانت المساجد والتكايا والساحات العامة مراكز رئيسية لإحياء ذكرى عاشوراء. تميزت هذه الطقوس بتنوعها، من قراءات المقتل إلى القصائد الشعرية التي تحكي مأساة كربلاء. كما برزت التعزية كشكل فني وديني يدمج بين التعبير العاطفي والتعليمي، حيث استخدمها الصفويون لتعليم الناس القيم الشيعية وتعزيز روح المقاومة في وجه الظلم.

في العهد القاجاري، الذي امتد من أواخر القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين، استمرت شعائر عاشوراء في لعب دورها المركزي، لكن مع تغييرات واضحة في شكلها ومضمونها. كان القاجاريون يرون في هذه الشعائر وسيلة لتعزيز شرعيتهم السياسية، خصوصًا في ظل التحديات الداخلية والخارجية التي واجهوها، مثل الهزائم العسكرية أمام الروس وتصاعد النفوذ الغربي في البلاد.

كانت "تكية الدولة" من أبرز المظاهر التي تعكس أهمية شعائر عاشوراء في العهد القاجاري. شُيدت هذه التكية في عهد ناصر الدين شاه لتكون مركزًا رئيسيًا لإقامة الشعائر الحسينية، لكنها كانت تعكس أيضًا تداخل الدين والسياسة، حيث حرص القاجاريون على دعم هذه الطقوس والترويج لها لتعزيز مكانتهم أمام الشعب.

فضلاً عن ذلك فقد شهدت هذه المدة تطورًا كبيرًا في أشكال الطقوس، حيث ظهرت مواكب العزاء العامة التي جابت الشوارع، والتعزية التي أخذت طابعًا مسرحيًا يجسد أحداث كربلاء، إضافة إلى شعائر مثل التطبير والضرب بالسلاسل (الزنجيل) التي تعبر عن الحزن والتضامن مع الإمام الحسين عليه السلام. هذه الطقوس لم تكن مجرد تعبير عن الحزن، بل أصبحت مناسبات لتعزيز القيم الاجتماعية مثل الإيثار، التضحية، والعدالة[٣].

في كلا العهدين الصفوي والقاجاري، لعبت شعائر عاشوراء دوراً مهمًا في تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع. كانت هذه الطقوس تجمع بين الفقراء والأغنياء، العوام والنخب، مما جعلها وسيلة لتعزيز الشعور بالوحدة والتضامن في وجه التحديات. كما كانت مناسبة لتعليم الأجيال الجديدة القيم الدينية والإنسانية التي تجسدها واقعة كربلاء.

المطلب الثاني: شعائر عاشورا كأداة للتعبئة الجماهيرية في السياقات الاجتماعية

لعبت شعائر عاشوراء دوراً محوريًا كأداة فعّالة للتعبئة الجماهيرية في السياقات الاجتماعية المختلفة، خاصة في المجتمعات التي تعرّضت للاضطرابات السياسية والاجتماعية. تعدّ هذه الشعائر أكثر من مجرد طقوس دينية، فهي تحمل في طياتها قدرة كبيرة على التأثير في وجدان الجماهير وتحفيزهم على اتخاذ مواقف محددة تجاه قضايا اجتماعية وسياسية محورية. هذا الدور البارز جعلها وسيلة قوية لتوجيه المجتمع، سواء كان ذلك لتعزيز الوحدة الاجتماعية أو لإحداث تغييرات جذرية في بنية النظام القائم.

تمتلك شعائر عاشوراء قوة رمزية كبيرة، حيث تُجسد مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وصراعه ضد الظلم والاستبداد. هذه الرمزية تجعل من هذه الشعائر وسيلة مؤثرة لتحفيز الجماهير على مواجهة التحديات الاجتماعية والسياسية التي تواجههم. فكما أن الإمام الحسين عليه السلام وقف في وجه الظلم في كربلاء، فإن الجماهير تجد في إحياء هذه الشعائر مصدر إلهام لمواجهة الظلم في زمانهم. هذا البعد الرمزي جعل الشعائر الحسينية محوراً رئيسيًا في الحركات الاجتماعية والسياسية، حيث استُخدمت كوسيلة لتذكير الناس بالقيم الإنسانية الكبرى مثل العدالة، التضحية، والمقاومة(٤).

ساعدت شعائر عاشوراء على ترسيخ الهوية الجماعية للمجتمع، حيث جمعت بين مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية تحت مظلة واحدة. كان لهذه الشعائر تأثير عميق في تقوية الروابط بين الأفراد، حيث شعر الجميع بالانتماء لقضية واحدة وتجددت لديهم القيم المشتركة. في المجتمعات التي عانت من التفرقة الاجتماعية أو التحديات السياسية، كانت هذه الشعائر بمثابة نقطة التقاء تجمع بين الجماهير وتعزز شعورهم بالوحدة والتكاتف.

برزت شعائر عاشوراء كأداة للتعبئة الجماهيرية في الحركات الاحتجاجية، سواء في

مواجهة الظلم السياسي أو الاجتماعي. خلال العهد القاجاري، على سبيل المثال، استخدمت شعائر عاشوراء كوسيلة للتعبير عن رفض الشعب للفساد والاستبداد. كانت مواكب العزاء ومجالس الوعظ تُستخدم كمنابر لتوجيه النقد للسلطة الحاكمة وتذكير الناس بواجبهم في مقاومة الظلم. كما شهدت هذه الفترة إدماجًا متزايدًا للرموز الحسينية في الخطاب الاحتجاجي، مما جعل عاشوراء مناسبة لتعبئة الجماهير وإشعال روح المقاومة(٥).

إضافة إلى البعد الديني والسياسي، لعبت شعائر عاشوراء دورًا في تحفيز الإبداع الثقافي والفني، حيث أصبحت مصدر إلهام للفنون الشعبية مثل الشعر، والمسرح، والتعزية. كانت هذه الفنون تُستخدم كوسيلة لنقل الرسائل الاجتماعية والسياسية، مما ساهم في تعزيز التعبئة الجماهيرية. على سبيل المثال، كانت التعزية تُعرض بطريقة تحاكي مظلومية الإمام الحسين عليه السلام بشكل درامي يُحرك المشاعر ويحفز الحاضرين على التفكير في واقعهم.

المبحث الثاني

شعائر عاشوراء في العهد الصفوي

شهدت شعائر عاشوراء تحولًا مهمًا في تاريخها خلال الفترة الصفوية، حيث أصبحت هذه الطقوس جزءًا لا يتجزأ من الهوية الشيعية في إيران، وذلك نتيجة السياسات الدينية التي اتبعتها الدولتان. فالدولة الصفوية، التي تأسست في بداية القرن العاشر الهجري، كانت الأولى التي أعلنت التشيع الاثني عشري مذهبًا رسميًا للدولة، مما جعل شعائر عاشوراء عنصرًا مركزيًا في تشكيل الهوية الوطنية والدينية لإيران.

المطلب الأول: تأثير شعائر عاشوراء في الوضع الاجتماعي في العهد الصفوي

مع تولي إسماعيل الصفوي الحكم في إيران عام ١٥٠١م، لم يكن هذا الحدث مجرد وصول سلالة حاكمة جديدة إلى السلطة، بل كان تحولًا جذريًا في الهوية الدينية والاجتماعية للبلاد. بإعلانه التشيع الاثني عشري مذهبًا رسميًا للدولة، أراد إسماعيل الصفوي تأسيس هوية دينية متمايزة عن القوى السنية المحيطة بإيران، مثل الدولة العثمانية والإمبراطورية التيمورية. أحد أهم الوسائل التي استخدمها الصفويون في ترسيخ هذه الهوية الشيعية الجديدة كان إحياء شعائر عاشوراء التي تتمحور حول ذكرى استشهاد الإمام الحسين في كربلاء عام ٦٨٠م. هذه الطقوس لم تكن مجرد تعبير عن الحزن

والمظلومية، بل تحولت إلى أداة سياسية ودينية لتمكين الدولة الصفوية من تعزيز شرعيتها في مواجهة خصومها الخارجيين والداخليين(٦).

كانت طقوس عاشوراء في العهد الصفوي تُقام بشكل رسمي وعلني، حيث كانت الحكومة ترعى هذه الشعائر وتقوم بتنظيمها بطرق تتناسب مع الهوية الشيعية الجديدة. الدولة الصفوية، بفهمها لأهمية هذه الطقوس في بناء الولاء الشعبي، جعلت من عاشوراء مناسبة وطنية ودينية تُشارك فيها جميع فئات المجتمع، من النخبة الحاكمة إلى عامة الشعب، غوبينو، الذي زار إيران في القرن التاسع عشر، يشير إلى أن "الدولة الصفوية كانت تعتمد بشكل كبير على طقوس عاشوراء لتعزيز الولاء للإمام الحسين وأهل البيت. كان يتم دعم هذه الطقوس ماليًا ومعنويًا من قبل الحكومة، وأصبحت جزءًا من النظام الديني والسياسي للدولة"(٧).

أحد أهم الإجراءات التي اتخذتها الدولة الصفوية هذه الطقوس كان إنشاء البنية التحتية الدينية المناسبة لدعمها، مثل التكايا والحسينيات. التكايا كانت مؤسسات دينية يُشرف عليها رجال الدين المدعومين من الدولة، وكان هدفها تنظيم المجالس الحسينية والأنشطة العاشورائية. هذه المؤسسات لم تكن مجرد مراكز دينية، بل كانت تمثل جزءًا من السياسة الثقافية للصفويين. المؤرخ عباس أمانات يؤكد أن "التكايا والحسينيات في العهد الصفوي كانت مراكز تعبئة دينية واجتماعية. كانت الحكومة تشرف على تنظيم هذه المؤسسات بشكل دقيق لضمان استمرار تأثيرها على الشعب وتعزيز الولاء الديني والسياسي"(٨).

من خلال هذا الدعم الكبير الذي قدمته الحكومة الصفوية، أصبحت عاشوراء مناسبة تشمل جميع طبقات المجتمع الإيراني، من النخبة الحاكمة إلى الفقراء. كان الجميع يشارك في هذه الطقوس التي تجمع بين الجانب الديني والاجتماعي. المستشرق ريتشارد فراي، الذي درس تأثير عاشوراء في المجتمع الصفوي، يذكر أن "الصفويين استطاعوا من خلال إحياء شعائر عاشوراء تحويل هذه الطقوس إلى عنصر محوري في بناء الهوية الوطنية. عاشوراء لم تكن مجرد علائق الدينية، بل كانت تعبيرًا عن مقاومة الظلم وتجسيدًا لقيم التضحية والعدالة التي يمثلها الإمام الحسين".(٩).

لم يكن الهدف الوحيد من تعزيز شعائر عاشوراء هو الجانب الديني فقط، بل كان لهذه الطقوس دور سياسي واجتماعي عميق. الدولة الصفوية كانت تستخدم عاشوراء كأداة لتحشيد الجماهير وتعزيز شرعية الحكومة. كانت الطقوس تُقام بشكل علني وواسع، وكانت تمثل رسالة واضحة للداخل والخارج بأن الدولة الصفوية هي الحامية الوحيدة للإسلام الشيعي، وأنها تمثل امتدادًا تاريخيًا لأهل البيت. المؤرخ البريطاني جوناثان برنتلي يشير إلى أن "الصفويين استغلوا شعائر عاشوراء كأداة لبناء دولة قومية شيعية مميزة. كانت هذه الطقوس تُستخدم كوسيلة للتعبئة الجماهيرية ولتعزيز الولاء للدولة. عاشوراء أصبحت جزءًا من السياسة العامة للدولة الصفوية"(١٠).

الدور الذي لعبته الطقوس العاشورائية في العهد الصفوي لم يقتصر على الجوانب الدينية والسياسية فقط، بل كان لها أيضًا تأثير اجتماعي كبير. في ظل هذه الطقوس، كان يتم تجميع الناس من مختلف الفئات الاجتماعية في مكان واحد، حيث كان الجميع يشاركون في اللطم والعزاء. هذا التفاعل الاجتماعي ساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية بين الإيرانيين. المؤرخ محمد رضا نجفي يوضح أن "شعائر عاشوراء لم تكن مجرد طقوس دينية، بل كانت حدثًا اجتماعيًا مهمًا يجمع بين مختلف فئات المجتمع. كانت الحكومة تعتمد على هذه الطقوس لتوحيد الشعب وتعزيز الانتماء الوطني"(١١).

إلى جانب ذلك، كانت الدولة الصفوية تقدم الدعم المادي والمعنوي لكل من يساهم في تنظيم هذه الطقوس. الأسر الحاكمة كانت تدعو كبار علماء الدين من مختلف أنحاء البلاد للحضور والمشاركة في هذه علائق الدينية، حيث كانوا يلعبون دورًا رئيسيًا في توجيه الشعور الشعبي وتقديم الدعم الفكري للحكومة الصفوية. العلماء في تلك الفترة كانوا يمثلون عنصرًا هامًا في تعزيز شرعية الدولة، وكانوا يشكلون جزءًا لا يتجزأ من النظام السياسي والديني. المؤرخ الإيراني محمد رضا نجفي يشير إلى أن "العلماء كانوا جزءًا أساسيًا من النظام الصفوي. كانوا يقدمون الدعم الفكري والديني للحكومة من خلال مشاركتهم في الشعائر العاشورائية، مما ساعد في تعزيز شرعية الحكومة وتأكيد الولاء للإمام الحسين"(١٢).

إن تعزيز شعائر عاشوراء في العهد الصفوي كان له تأثير عميق على الهوية الشيعية في إيران. من خلال الدعم المالي والتنظيمي الذي قدمته الحكومة، أصبحت عاشوراء أكثر من

مجرد طقوس دينية، بل أداة سياسية واجتماعية لتعزيز الولاء للدولة الصفوية. هذه الطقوس ساعدت في بناء دولة شيعية قوية وموحدة، وفي مواجهة التحديات الداخلية والخارجية من القوى السنية المحيطة. تعزيز عاشوراء كان جزءًا من استراتيجية أكبر لتعزيز الهوية الشيعية وبناء الولاء السياسي للحكومة، وهي استراتيجية أثبتت نجاحها على مر الزمن.

المطلب الثاني: الانعكاسات الاجتماعية لشعائر عاشوراء على العادات والتقاليد في العهد الصفوي

شهد العهد الصفوي تطورًا ملحوظًا في المجتمع الإيراني على المستويات الدينية والاجتماعية، حيث لعبت شعائر عاشوراء دورًا محوريًا في تشكيل الهوية الجماعية والملامح الثقافية لهذا المجتمع. وكانت هذه الشعائر أكثر من مجرد طقوس دينية؛ إذ أصبحت أدوات اجتماعية وسياسية تركت بصماتها الواضحة على العادات والتقاليد الإيرانية.

أسهمت شعائر عاشوراء في غرس قيم التضامن والتلاحم بين أفراد المجتمع الإيراني. خلال هذه المناسبة، شارك جميع الفئات في مواكب العزاء ومجالس الحزن، مما عزز الروابط الاجتماعية ووفر فضاءً لتفاعل مختلف الطبقات. أشار المستشرق دن گارسيا إلى أنّ حضور جميع طبقات المجتمع في هذه المجالس، بما في ذلك النساء والأطفال، يعكس مدى تأثير عاشوراء في الحياة الاجتماعية(١٣).

تغيّرت العديد من السلوكيات اليومية خلال أيام عاشوراء في العهد الصفوي، حيث انعكس الحزن والتأمل العميق على كافة جوانب الحياة الاجتماعية والفردية. كانت الأجواء العامة مغمورة بطابع الحزن، وهو ما ظهر جليًا في تصرفات الأفراد والجماعات. ارتدى الناس الملابس السوداء تعبيرًا عن الحداد، وأصبحت هذه الملابس رمزًا لا يمكن تجاهله يعكس الالتزام العاطفي والديني تجاه ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. لم يقتصر الأمر على ارتداء السواد، بل امتنع الناس عن حلق رؤوسهم أو تهذيب لحاهم، وهو ما أشار إليه المستشرق بيتر دلاواله الذي لاحظ أن مظاهر الحزن كانت واضحة في الهيئة الخارجية للأفراد، مما يُظهر ارتباطًا عاطفيًا عميقًا بهذه المناسبة.(١٤).

إلى جانب ذلك، ألغيت الاحتفالات والأفراح كليًا خلال هذه الأيام، وبدت المدن الإيرانية أشبه بمشهد جماعي للحزن والانكسار. لقد تحولت حياة الناس خلال عاشوراء إلى حالة من التأمل الجماعي، حيث كانت المظاهر اليومية تعكس تقديرًا واحترامًا كبيرًا لذكرى

عاشوراء. ساهمت هذه التغيرات السلوكية في تعزيز الوحدة الاجتماعية، إذ اجتمع الجميع على نفس الطقوس والقيم.

شهد العهد الصفوي أيضًا ابتكار تقاليد جديدة مرتبطة بعاشوراء، والتي لعبت دورًا بارزًا في ترسيخ القيم الدينية والثقافية لدى الأفراد. من بين هذه التقاليد، برزت التعزية كأحد أشكال التمثيليات الدينية التي تصور أحداث واقعة كربلاء. كانت هذه التقاليد لا تقتصر فقط على سرد الوقائع، بل امتزجت بمشاعر عميقة أثرت في وجدان المشاركين، مما جعلها أداة فعّالة لنقل الرسائل الدينية والاجتماعية. لاحظ المستشرق آدام الئاريوس أن مراسم مثل نعش الإمام الحسين عليه السلام والتمثيلات التراجيدية المرتبطة بها لم تكن مجرد فعاليات عابرة، بل كانت تجارب تغمر المشاركين بتأثير نفسي وروحي عميق.

إلى جانب التمثيليات الدينية، انتعشت الفنون الشعبية مثل الشعر الذي أصبح وسيلة للتعبير عن مشاعر الحزن والتأمل. في الوقت نفسه، كانت هذه التقاليد وسيلة لتعليم الأجيال الجديدة عن قيم التضحية والعدالة التي جسدتها واقعة كربلاء. أثرت هذه الابتكارات على الفنون المسرحية أيضًا، حيث تحولت التراجيديا الحسينية إلى أحد المحاور الثقافية التي رسخت مكانة عاشوراء في وجدان المجتمع الصفوي(١٥).

كانت النساء حاضرات بشكل ملحوظ في مجالس العزاء، حيث قدمن الدعم المعنوي والمادي، سواء من خلال المشاركة المباشرة في المجالس أو إعداد الطعام للمشاركين. وذكر دن گارسيا أن النساء من مختلف الطبقات كنّ يشاركن في المجالس ويرتدين الأزياء السوداء، مما يعكس دورهن الأساسي في دعم هذه الطقوس.

ارتبطت شعائر عاشوراء بعادة تقديم الطعام والشراب للحاضرين، والتي عكست روح الكرم والتكافل الاجتماعي. أشار المستشرقون، مثل آدام الئاريوس، إلى أنّ تقديم الطعام خلال مراسم عاشوراء كان يعكس اهتمام المجتمع برعاية الأفراد المحتاجين، وتعزيز الروابط بينهم.

ألهمت شعائر عاشوراء تطورًا في الثقافة الإيرانية، حيث ظهرت أشكال فنية مثل الشعر الحسيني والمسرحيات التي استوحت أحداث كربلاء. كتب إنجلبرت كامپفر عن تأثير كتاب "روضة الشهداء" الذي كان يُستخدم في المجالس لإحياء ذكرى عاشوراء، مما أضاف بُعدًا أدبيًا

وفنيًا لهذه الشعائر إن شعائر عاشوراء في العهد الصفوي لم تكن مجرد طقوس دينية، بل كانت عاملًا محوريًا في تشكيل المجتمع الإيراني وتعزيز قيم التضامن والتلاحم. كانت هذه الشعائر انعكاسًا للتفاعل بين الدين والثقافة، وأسهمت في ترسيخ الهوية الشيعية للمجتمع الإيراني(١٦).

المبحث الثالث

شعائر عاشوراء في العهد القاجاري

شهدت شعائر عاشوراء في العهد القاجاري (١٢١٠هـ/١٧٩٥م - ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) تحولًا بارزًا، حيث امتدت هذه الحقبة التاريخية لأكثر من قرن من الزمن، وشهدت خلالها إيران تغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية عميقة. في ظل حكم الدولة القاجارية، التي تأسست على يد آغا محمد خان قاجار واستمرت حتى سقوطها على يد رضا شاه بهلوي، أصبحت شعائر عاشوراء رمزًا مركزيًا للتعبير عن الهوية الشيعية وتعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإيراني.

كانت هذه الفترة تتسم بتحديات داخلية وخارجية، مثل التوترات مع القوى الأجنبية والاضطرابات الاجتماعية، مما جعل من شعائر عاشوراء وسيلة فعّالة لتوحيد الصفوف وإحياء روح المقاومة. وقد حظيت هذه الشعائر بدعم ملوك القاجار، مثل ناصر الدين شاه قاجار (حكم ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م - ١٣١٣هـ/١٨٩٦م)، الذي أولى اهتمامًا خاصًا بتنظيم مراسم عاشوراء، حيث اعتُبرت أداة قوية لتعزيز شرعية الحكم وإبراز القيم الشيعية في مواجهة التحديات.

المطلب الأول: تأثير شعائر عاشوراء في الوضع الاجتماعي في العهد القاجاري

مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي، شهدت إيران تحولات سياسية مهمة مع صعود الدولة القاجارية. كانت هذه الفترة مليئة بالتحديات السياسية الداخلية والخارجية التي واجهتها الدولة، ومع ذلك، استمرت الحكومة القاجارية في تعزيز الطقوس العاشورائية كأداة محورية لتعزيز شرعية حكمها وتوطيد العلاقة بين الدولة والشعب. خلال هذا العهد، اكتسبت الطقوس العاشورائية أهمية أكبر، حيث تم استخدامها كوسيلة لتأكيد الولاء لأهل البيت وتعزيز الهوية الدينية والاجتماعية الشيعية. كانت

عاشوراء بالنسبة للحكومة القاجارية ليست فقط طقوسًا دينية بل أيضًا أداة سياسية واجتماعية لخلق وحدة وطنية وتعزيز الاستقرار السياسي في البلاد(١٧).

واحدة من أهم التطورات التي شهدتها شعائر عاشوراء خلال هذه الفترة كانت في طقوس "التعزية"، والتي تطورت لتصبح واحدة من أكثر أشكال الشعائر تأثيرًا وانتشارًا في المجتمع الإيراني. "التعزية" هي شكل مسرحي درامي تمثل فيه أحداث كربلاء بشكل تصويري. كانت هذه الطقوس تُقام في الأماكن العامة، وتحولت إلى حدث جماهيري يجذب الآلاف من المشاركين والمتفرجين من مختلف الفئات الاجتماعية. إدوارد براون، المستشرق البريطاني الذي زار إيران وكتب عن الطقوس الشيعية، يصف هذه الطقوس بأنها "أكثر من مجرد مناسبات دينية، بل كانت تجمع بين الثقافة والدين والسياسة، حيث كانت تمثل وسيلة للتعبير عن الولاء للإمام الحسين، وتوحيد الشعب الإيراني تحت هذه الراية المقدسة"(١٨).

كانت التعزية في العهد القاجاري تحظى بدعم واسع من الحكومة القاجارية. ناصر الدين شاه، الذي حكم إيران من ١٨٤٨ إلى ١٨٩٦م، كان من أبرز الحكام الذين دعموا هذه الطقوس. كان يدرك أهمية هذه الطقوس في تعزيز شرعية حكمه وتقوية العلاقة بين الدولة والشعب. ناصر الدين شاه، مثل الكثير من ملوك القاجار، كان يرى في التعزية وسيلة فعالة لإيصال رسائل سياسية ودينية، بالإضافة إلى كونها أداة تعبوية لتوجيه مشاعر الناس نحو الولاء للحكومة القاجارية. كانت الحكومة تدعم التعزية من خلال تقديم التمويل اللازم لتنظيمها، سواء من خلال توفير الموارد المادية، أو من خلال المشاركة الشخصية للملك والمسؤولين الحكوميين في هذه الطقوس(١٩).

في عصر القاجار، خُصِّصَت العديد من الكتب الشعرية لأشعار تتناول عاشوراء وأحداث كربلاء، ومن أهم المنظومات العرفانية في عصر القاجاريين حول عاشوراء يمكن الإشارة إلى "آتشكده نير" لنير التبريزي، و"زبدة الأسرار" لصفي علي شاه، و"گنجينه الأسرار" لعمان ساماني. حاول شعراء هذه الكتب تفسير ثورة الإمام الحسين عليه السلام بكلمات عرفانية.

ميرزا محمد تقي التبريزي المتخلص بـ"نير" (١٢٤٧ هـ.ق)، مؤلف منظومة عاشورائية "آتشكده نير"، كان من العلماء والشعراء في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري وعاش

في عهد القاجار. تناول نير في مثنوي "آتشكده" شرح أحداث عاشوراء. وهذه المنظومة تُعدُّ من كتب المقاتل، إذ نظمت بأسلوب ملحمي وفخيم. في بعض فقرات هذا المقتل، اتخذت كلمات نير التبريزي بعداً عرفانياً(٢٠).

بالإضافة إلى المثنوي المذكور، نظم نير أيضًا قصيدة مؤلفة من ٢٨ مقطعًا، فضلاً عن عدة قصائد قصيرة (غزل)، رباعيات، ودوريات حول أحداث يوم عاشوراء.

إلى جانب الدعم الحكومي، كانت التعزية تحظى بدعم كبير من العائلات الثرية والنخب الإيرانية. هذه العائلات كانت تتنافس فيما بينها على تنظيم المجالس الحسينية وتمويل التعزية بأفخم الطرق. كانت العائلات الثرية ترى في تنظيم التعزية وسيلة لتعزيز مكانتها الاجتماعية والسياسية، حيث كان تنظيم التعزية يُعتبر شرفًا كبيرًا ومؤشرًا على النفوذ الاجتماعي والسياسي. المستشرق الأمريكي آرثر ريتشارد، الذي زار إيران في نهاية القرن التاسع عشر، أشار إلى أن "العائلات الثرية كانت تتنافس على إقامة التعزية الأبرز والأكثر تأثيراً. كان تنظيم هذه الطقوس يعكس مكانة العائلة ودورها في المجتمع، وكانت هذه العائلات تسعى لتعزيز مكانتها من خلال تنظيم المجالس العاشورائية"(٢١).

التعزية هي واحدة من أقدم الشعائر التي ترتبط بإحياء ذكرى عاشوراء، وقد تطورت على مر القرون لتشمل العديد من الممارسات البدنية التي تُظهر الحزن على الإمام الحسين عليه السلام، مثل اللطم وضرب الزنجير والتطبير. كانت هذه الممارسات شائعة بشكل خاص في العهد القاجاري، حيث كانت تُقام التعزيات العامة في الساحات الكبيرة، ويشارك فيها أعداد كبيرة من الناس.

ضرب الزنجير، وهو ضرب الجسد بالسلاسل أو الزنجير، كان يُمارس كوسيلة للتعبير عن الحزن العميق على مصاب الإمام الحسين عليه السلام. كانت هذه الممارسة مدعومة من قبل العديد من الفقهاء في ذلك العهد، حيث كانوا يرون فيها وسيلة لتعميق الشعور بالمظلومية والتضحية.

العلامة المجلسي، في كتابه الشهير "بحار الأنوار"، ذكر مشروعية هذه الممارسات، مؤكداً أنها تُعد من الوسائل الشرعية لإظهار الحزن على الإمام الحسين عليه السلام. يقول المجلسي:

"إن ضرب الزنجير وأمثاله من الطقوس البدنية التي تُظهر الحزن على الحسين عليه السلام وتُعمق من روحانية الشخص، هي مشروعة طالما كانت تُعبر عن الولاء لأهل البيت"(٢٢).

التعزية في بداياتها كانت عبارة عن مجالس تُقام لاستذكار مصاب الإمام الحسين عليه السلام وترديد المراثي الحزينة التي تُظهر مظلوميته، ومع مرور الزمن، تطورت هذه الشعيرة لتشمل طقوساً أكثر تأثيراً في العاطفة مثل ضرب الزنجير والتطبير. خلال العهد القاجاري، أصبحت هذه الطقوس أكثر تنظيماً، وبدأت تُقام بشكل رسمي في الساحات العامة، ما أدى إلى جذب عدد كبير من الناس.

التعزية لم تكن مجرد مناسبة دينية، بل كانت تلعب دوراً سياسيًا واجتماعيًا بالغ الأهمية في العهد القاجاري. كانت الحكومة القاجارية تنظر إلى التعزية كجزء لا يتجزأ من سياستها لتعزيز الولاء الشعبي وضمان استمرارية شرعية الحكم. في هذا السياق، كانت التعزية تُستخدم كأداة لتوجيه الرأي العام، حيث كانت الحكومة تعتمد على هذه الطقوس للتأكيد على شرعيتها الدينية والاجتماعية. المؤرخ البريطاني جورج لينغ أشار إلى أن "التعزية لم تكن فقط طقسًا دينيًا في العهد القاجاري، بل كانت جزءًا من الاستراتيجية السياسية للحكومة. كانت التعزية تُستخدم لتعزيز شرعية الحكومة وتوجيه مشاعر الشعب نحو الولاء للحكم القاجاري"(٢٣).

من الناحية الثقافية والاجتماعية، لعبت التعزية دورًا كبيرًا في توحيد الشعب الإيراني حول قيم مشتركة مستمدة من حادثة كربلاء. كانت هذه الطقوس تمثل تجسيدًا للقيم الشيعية المتمثلة في مقاومة الظلم والتضحية من أجل العدالة. في ظل هذه الطقوس، كان الشعب الإيراني يتذكر دائمًا مظلومية الإمام الحسين وأهل بيته، وكان يجد في التعزية وسيلة للتعبير عن مشاعره المشتركة تجاه هذه القيم. كانت التعزية بمثابة مزيج فريد بين الدراما الدينية والتعبير الثقافي، مما جعلها حدثًا جماهيريًا يجذب كل فئات المجتمع(٢٤).

إلى جانب كونها طقوسًا دينية وثقافية، كانت التعزية تمثل أيضًا حدثًا اجتماعيًا يجمع الناس من مختلف طبقات المجتمع. كانت التعزية تُقام في الساحات العامة أو في الحسينيات التي كانت تُبنى خصيصًا لهذا الغرض. في هذه المجالس، كان الناس يجتمعون للاستماع إلى قراءة "المقتل" الذي يروي أحداث استشهاد الإمام الحسين بطريقة مؤثرة، بينما كانت تُقام

مشاهد تمثيلية تُعيد تمثيل أحداث كربلاء. هذه الطقوس كانت تخلق تفاعلًا عاطفيًا قويًا بين المشاركين، وكانت تساهم في تعزيز الوحدة الاجتماعية والتلاحم بين أفراد المجتمع. المؤرخ الإيراني عباس أمانات يشير إلى أن "التعزية في العهد القاجاري لم تكن مجرد طقس ديني، بل كانت مناسبة اجتماعية تجمع الناس من مختلف الفئات، وتُعزز الروابط الاجتماعية وتخلق شعورًا بالوحدة الوطنية"(٢٥).

إضافة إلى ذلك، كانت التعزية تحمل بُعدًا سياسيًا مهمًا، حيث كانت الحكومة القاجارية تستخدم هذه الطقوس لتعزيز ولاء الشعب وتأكيد شرعية حكمها. كانت الحكومة تعتبر التعزية جزءًا من سياستها لتعزيز الهوية الشيعية في البلاد. كانت هذه الطقوس تُستخدم لتعزيز الشعور بالولاء للحكومة وتوطيد العلاقة بين الحاكم والمحكوم. المؤرخ محمد علي كاظمي يوضح أن "الحكومة القاجارية كانت تنظر إلى التعزية كجزء من استراتيجيتها السياسية. كانت التعزية تُستخدم لتوجيه مشاعر الناس وتعزيز الولاء للحكومة، وكانت تلعب دورًا أساسيًا في الحفاظ على شرعية الدولة"(٢٦).

بفضل هذا الدعم الواسع من الحكومة والنخب الاجتماعية، أصبحت التعزية جزءًا لا يتجزأ من الحياة العامة في إيران. هذه الطقوس، التي كانت تمثل تعبيرًا عن الحزن والأسى على استشهاد الإمام الحسين، تحولت إلى رمز للمقاومة والعدالة في مواجهة الظلم. كانت التعزية تعكس قيم التضحية والمقاومة التي يمثلها الإمام الحسين وأهل بيته، مما جعلها وسيلة فعالة لتعزيز الهوية الشيعية وتوحيد المجتمع حول هذه القيم. إدوارد براون يضيف في وصفه لهذه الطقوس: "التعزية كانت تمثل تعبيرًا عميقًا عن مشاعر الحزن والمظلومية التي عاشها الشعب الإيراني. كانت هذه الطقوس تعكس مقاومة الظلم والتضحية من أجل العدالة، وكانت تعزز من شعور الشعب بوحدته وتماسكه"(٢٧).

أن هذه الطقوس لعبت دورًا هامًا في تشكيل الهوية الدينية والاجتماعية للشعب الإيراني. لم تكن عاشوراء مجرد مناسبة دينية، بل كانت أداة لتعزيز شرعية الحكومة القاجارية وتوحيد الشعب حول قيم التضحية والعدالة التي يمثلها الإمام الحسين. التعزية، بصفتها أبرز طقوس عاشوراء في العهد القاجاري، كانت تعكس تفاعلًا عميقًا بين الدين والسياسة والثقافة، مما جعلها جزءًا لا يتجزأ من الحياة الإيرانية على مر الزمن.

المطلب الثاني: الانعكاسات الاجتماعية لشعائر عاشوراء على العادات والتقاليد في العهد القاجاري

شهدت شعائر عاشوراء في العهد القاجاري تطوراً عميقًا في شكلها ومضمونها وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الإيراني. امتدت هذه الفترة من عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م إلى عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، وهي فترة اتسمت بتغيرات سياسية واجتماعية كبيرة في إيران. ارتبطت شعائر عاشوراء في هذا العهد ارتباطًا وثيقًا بالعادات والتقاليد، حيث أصبحت جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي، وكانت انعكاسًا للظروف المحيطة بالمجتمع، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية[٢٨].

في العهد القاجاري، لم تكن شعائر عاشوراء مجرد طقوس دينية، بل أصبحت أداة فعّالة لتحقيق أهداف سياسية وتعزيز شرعية الحكم. استخدم ملوك القاجار هذه الشعائر كوسيلة لكسب ولاء الشعب وتعزيز شرعية سلطتهم. كانت "تكية الدولة"، التي أسسها ناصر الدين شاه، رمزًا لهذا التداخل بين الدين والسياسة. هذه التكية، التي شُيدت بأسلوب معماري فخم يحاكي دور الأوبرا الأوروبية، كانت منصة لإقامة شعائر عاشوراء بطريقة تخدم أهداف الدولة. حضر الملوك القاجاريون هذه الطقوس بانتظام، وقاموا بتمويلها بسخاء، مما أضفى طابعًا رسميًا وشعبيًا على هذه الشعائر[٢٩].

ومع ذلك، لم يكن هذا الدعم السياسي خاليًا من الانتقادات. فقد أعرب العديد من العلماء ورجال الدين عن استيائهم من الطريقة التي تم بها استغلال هذه الشعائر لأغراض سياسية. رأى هؤلاء العلماء أن الشعائر الحسينية تم تفريغها من مضمونها الثوري والديني العميق، وأنها أصبحت مجرد مظاهر سطحية تخدم مصالح الطبقة الحاكمة. كان الشيخ جعفر شوشتري من أبرز النقاد لهذه الظاهرة، إذ دعا إلى تنقية هذه الطقوس من البدع والخرافات التي انتشرت في تلك الفترة.

شهدت شعائر عاشوراء في العهد القاجاري تنوعًا كبيرًا في أشكالها وطرق إقامتها. لم تقتصر هذه الطقوس على المساجد والمراقد الدينية، بل امتدت إلى ساحات المنازل، والقصور، وحتى المقاهي والأسواق. كانت هناك عدة أشكال من الطقوس، من بينها الوعظ، والمقتل، والنقّالي، والتعزية، وشمايل‌گردانی، إضافة إلى المواكب الحسينية التي تضمنت السلاسل والطبول والرايات. كما برزت طقوس جديدة مثل التطبير وضرب

السلاسل (الزنجيل)، والتي كانت تعبيراً عن الحزن العميق، لكنها قوبلت بانتقادات حادة من بعض العلماء الذين رأوا فيها مظاهر غير شرعية[٣٠].

وفي بعض المناطق، أدت هذه الطقوس إلى تنافس بين المجتمعات المحلية والجماعات المختلفة. كانت كل جماعة تسعى لجعل مراسمها أكثر فخامة وتأثيراً من غيرها، وهو ما أدى في بعض الأحيان إلى تصاعد البدع والخرافات. على سبيل المثال، ظهرت قصص وأحداث جديدة في الروايات الحسينية لم تكن موجودة في النصوص الأصلية، مما أثار حفيظة العلماء.

لعبت شعائر عاشوراء دوراً مهماً في تعزيز الروابط الاجتماعية داخل المجتمع القاجاري. كانت هذه الطقوس تجمع بين مختلف طبقات المجتمع، من الفقراء إلى الأغنياء، ومن العوام إلى النخب. كانت المجالس الحسينية والمواكب فرصة لتقوية الوحدة الاجتماعية، حيث اجتمع الناس معًا للتعبير عن حبهم وولائهم للإمام الحسين عليه السلام. كما شكلت هذه الطقوس وسيلة للتعبير عن القيم الإنسانية مثل التضحية، والعدالة، والوقوف في وجه الظلم[٣١].

فضلاً عن ذلك فقد ساهمت هذه الشعائر في تشكيل هوية جماعية للشعب الإيراني، حيث أصبحت ذكرى عاشوراء رمزاً للهوية الشيعية. في ظل الاستبداد السياسي والضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي عانى منها الشعب في ذلك الوقت، مثل الهزائم أمام الروس في الحروب وفرض معاهدات مذلة كتركمانچاي، كانت شعائر عاشوراء بمثابة وسيلة للتنفيس عن مشاعر الغضب والإحباط، وأحيانًا أداة للتعبير عن الاحتجاج ضد الظلم.

شهد العهد القاجاري تجديداً في بعض عناصر شعائر عاشوراء، ما جعلها تأخذ طابعًا مميزاً يتماشى مع الظروف الاجتماعية والثقافية في ذلك الوقت. برزت التعزية، وهي نوع من التمثيل الدرامي لواقعة كربلاء، كأحد أهم مظاهر التجديد الثقافي. كانت هذه التعزية تُقام في تكيات مختلفة، وعلى رأسها "تكية الدولة". امتزجت هذه الطقوس بالفنون الشعبية، مثل الشعر والأغاني الدينية، مما أضفى عليها طابعًا ثقافيًا مميزاً[٣٢].

على الرغم من الأهمية الاجتماعية لشعائر عاشوراء، إلا أن هذه الفترة شهدت بعض التناقضات في الممارسات الدينية المرتبطة بها. من جهة، كانت هذه الطقوس تعكس ولاءً عميقًا للإمام الحسين عليه السلام وتعاليمه، ومن جهة أخرى، كانت تُستخدم من قبل بعض الحكام

والطبقات الاجتماعية كوسيلة لإظهار التدين الظاهري فقط. مثال ذلك ما ذكر عن محمد علي شاه قاجار الذي كان يشارك في شعائر عاشوراء، مثل قمەزني، بينما كان يمارس الاستبداد والقمع ضد الشعب في الوقت نفسه.

يمكن القول إن شعائر عاشوراء في العهد القاجاري كانت انعكاسًا واضحًا للعلاقات المعقدة بين الدين والمجتمع والسياسة. ساهمت هذه الطقوس في تشكيل العادات والتقاليد الإيرانية، لكنها في الوقت نفسه تأثرت بالظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة. لقد كانت شعائر عاشوراء مرآة تعكس التحديات التي واجهها المجتمع الإيراني، سواء من الداخل أو من الخارج، وأداة للتعبير عن الهوية الجماعية والقيم الدينية.

نتائج البحث:

١. أظهرت الدراسة أن شعائر عاشوراء لم تكن مجرد طقوس دينية مرتبطة بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، بل كانت عاملًا محوريًا في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الإيراني لدى الحكومتين الصفوية و القاجارية، وقد ساعدت هذه الشعائر في تعزيز الروح الجماعية بين مختلف الفئات الاجتماعية، إذ أصبحت مناسبة لتوحيد المجتمع حول قيم مشتركة مثل العدالة، التضحية، ومقاومة الظلم. وقد شكلت هذه الطقوس مصدر إلهام للروح الاجتماعية في مظاهر الحراك المجتمعي في الأدب، الفن، والثقافة الشعبية في إيران، مما جعلها مكونًا أساسيًا في الهوية الوطنية.

٢. بينت الدراسة أن شعائر عاشوراء كانت على مر العصور حساسة للتغيرات الاجتماعية التي شهدتها إيران. ففي العهد الصفوي، حظيت هذه الشعائر بدعم كبير من الدولة، مما أدى إلى تطورها كجزء من الهوية الشيعية الرسمية.

٣. كشفت الدراسة عن الدور الكبير الذي لعبته شعائر عاشوراء في تحفيز المجتمع الإيراني على مواجهة التحديات السياسية والاجتماعية. لم تقتصر هذه الطقوس على كونها مناسبات لإحياء ذكرى دينية، بل تحولت إلى وسيلة فعالة للتعبير عن المظالم الاجتماعية والسياسية. في العصور الحديثة، استُخدمت هذه الطقوس كمنصة لإثارة الوعي العام ومواجهة القمع السياسي، مما جعلها رمزًا للمقاومة والتعبئة الجماهيرية، خاصة خلال فترات الاحتجاجات السياسية والصراعات الاجتماعية.

٤. أظهرت النتائج أن شعائر عاشوراء شهدت تطوراً ملحوظًا عبر العصور، حيث تحولت من طقوس بسيطة تُقام في الأوساط الشعبية إلى علائق منظمة تحمل دلالات اجتماعية وسياسية عميقة. في العهد الصفوي، تم تعزيز هذه الشعائر لتصبح جزءًا من الهوية الرسمية للدولة، بينما في العهد القاجاري، تطورت إلى طقوس ثقافية وفنية مثل "التعزية".

٥. أظهرت شعائر عاشوراء دوراً بارزًا في تعزيز الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الإيراني، حيث شكلت عاملًا محوريًا في تكريس القيم الشيعية وتعزيز الانتماء الجماعي بين الأفراد، خصوصًا في ظل الحكم الصفوي والقاجاري.

٦. كشفت الدراسة عن استخدام شعائر عاشوراء كأداة فعالة للتعبئة الجماهيرية، حيث استُغلت لتعزيز الولاء للحكومة ومقاومة الظلم السياسي، مما جعلها عنصراً مؤثرًا في الحركات الاجتماعية والسياسية في إيران.

٧. شهدت شعائر عاشوراء تطوراً ملحوظًا عبر العصور، حيث انتقلت من طقوس بسيطة إلى فعاليات منظمة ذات طابع اجتماعي وثقافي عميق، مثل التعزية والمواكب الحسينية التي أصبحت تعبيراً دراميًا يعكس قيم التضحية والعدالة.

٨. ساهمت شعائر عاشوراء في تعزيز قيم التضامن الاجتماعي والتلاحم بين مختلف الفئات، حيث كانت تجمع بين الأغنياء والفقراء والعوام والنخب، مما خلق أجواءً من التكافل والانتماء داخل المجتمع الإيراني.

٩. تأثرت شعائر عاشوراء بالسياقات السياسية المختلفة، حيث استفادت الحكومات الصفوية والقاجارية من دعمها لتعزيز شرعيتها، بينما واجهتها الحكومات البهلوية بقيود صارمة، مما يعكس تفاعل هذه الطقوس مع الأنظمة السياسية المتعاقبة.

١٠. لعبت شعائر عاشوراء دوراً بارزًا في إثراء الفنون الشعبية، مثل الشعر والمسرح، إذ أصبحت مصدر إلهام للعديد من الأعمال الإبداعية التي عكست الروح الجماعية والقيم الإنسانية المستمدة من واقعة كربلاء التي حفزت التضامن الاجتماعي بين فئات المجتمع بصورة عامة.

هوامش البحث

(١) الصدر، محمد باقر. فلسفتنا. النجف: مكتبة الفكر الإسلامي، ١٩٧١. ص١٥

(٢) العاملي، السيد محسن الأمين. أعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٦٧. ص٧٠

(٣) مطهري، مرتضى. الملحمة الحسينية. قم: دار الفكر الإسلامي، ١٩٨٧.ص ٢٦

(٤) النصراوي، حسن. تاريخ الشعائر الحسينية. النجف: مكتبة الغري الحديثة، ١٩٦٩. ص٩١

(٥) الشيبي، كاظم. الصلة بين التصوف والتشيع. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٨٢. ص٣١

(٦) غوبينو، رحلة إلى إيران، (ترجمة: محمد علي الصفدي، دار النشر الإسلامية، ١٩٨٤)، ص١٣٤.

(٧) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٨) عباس أمانات، التاريخ الديني والسياسي لإيران، (ترجمة: سعيد موسوي، طهران: جامعة طهران، ١٩٩١)، ص١٨٧.

(٩) ريتشارد فراي، تاريخ إيران القديم، (ترجمة: عبد الرحمن بن عبيد، القاهرة: دار الفكر، ١٩٩٠)، ص٢٢٥.

(١٠) جوناثان برنتلي، الدين والسياسة في المجتمع الشيعي، (واشنطن: مركز الدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠)، ص١٩٨.

(١١) محمد رضا نجفي، العلماء والسياسة في العصر الصفوي، (طهران: دار الكتاب الفارسي، ١٩٩٥)، ص١٤٤.

(١٢) المصدر نفسه، ص١٤٥.

(١٣) دن گارسيا دسيلوا، سفرنامه دن گارسيا، ترجمة غلامرضا سميعي، طهران: نشر نو، ١٣٦٣. ص٣٦

(١٤) انگلبرت كامپفر، سفرنامه كامپفر، ترجمة كيكاؤوس جهان داري، طهران: انتشارات خوارزمي، ١٣٦٣. ص١٧٣

(١٥) بيتر دلاواله، سفرنامه بيتر دلاواله، ترجمة شعاع الدين شفا، طهران: شركة انتشارات علمي وفرهنگي، ١٣٨٤. ص٥٢

(١٦) آدام الئاريوس، سفرنامه آدام الئاريوس: بخش إيران، ترجمة أحمد بهبور، طهران: سازمان انتشارات فرهنگي ابتكار، ١٣٦٣. ص٨٥

(١٧) غوبينو، رحلة إلى إيران، (ترجمة: محمد علي الصفدي، دار النشر الإسلامية، ١٩٨٤)، ص١٥٤.

(١٨) إدوارد براون، تاريخ الأدب الفارسي، (لندن: جامعة كامبريدج، ١٩٢٠)، ص٣١٢.

(١٩) محمد علي كاظمي، الطقوس الدينية والسياسية في إيران القاجارية، (طهران: جامعة طهران، ١٩٩١)، ص١٩٨.

(٢٠). محمدزاده، علي .تحقيقات در تاريخ ايران: بررسي‌هاي تاريخي و فرهنگي .تهران: انتشارات فرهنگ پژوهان، ١٣٨٥، ج ٢، ص ٩٠٣.

(٢١) آرثر ريتشارد، إيران: الثقافة والسياسة، (نيويورك: هاربر كولينز، ١٩٨٥)، ص٢١٤.
(٢٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٠٣
(٢٣) جورج لينغ، السياسة والدين في العصر القاجاري، (لندن: روتليدج، ١٩٩٣)، ص٢٢٥.
(٢٤) إدوارد براون، تاريخ الأدب الفارسي، ص٣١٤.
(٢٥) عباس أمانات، التاريخ الديني والسياسي لإيران، (ترجمة: سعيد موسوي، طهران: جامعة طهران، ١٩٩١)، ص١٨٧.
(٢٦) محمد علي كاظمي، الطقوس الدينية والسياسية في إيران القاجارية، (طهران: جامعة طهران، ١٩٩١)، ص٢٠٠.
(٢٧) إدوارد براون، تاريخ الأدب الفارسي، (لندن: جامعة كامبريدج، ١٩٢٠)، ص٣١٥.
(٢٨) مكي، حسين. تاريخ بيست ساله ايران. جلد اول. تهران: نشر ناشر، ١٣٦١. ص١٢٢
(٢٩) معيرالممالك، دوستعلي. يادداشت‌هايي از زندگاني خصوصي ناصرالدين شاه. تهران: نشر تاريخ، ١٣٨٢. ص١٤٠
(٣٠) نوربخش، مسعود. تهران به روايت تاريخ. جلد اول. تهران: نشر علم، ١٣٨٠. ص٨٣
(٣١) حاج سياح. خاطرات حاج سياح. تهران: انتشارات اميركبير، ١٣٥٦. ص٩٢
(٣٢) اعتمادالسلطنه، محمدحسن‌خان. روزنامه خاطرات اعتمادالسلطنه. تهران: نشر تاريخ، ١٣٧٠. ص٥٩.

قائمة المصادر والمراجع

١. آدام الئاريوس. سفرنامه آدام الئاريوس: بخش إيران. ترجمه أحمد بهبور. طهران: سازمان انتشارات فرهنگي ابتكار.

٢. إدوارد براون. تاريخ الأدب الفارسي. لندن: جامعة كامبريدج، ١٩٢٠.

٣. آرثر ريتشارد. إيران: الثقافة والسياسة. نيويورك: هاربر كولينز، ١٩٨٥.

٤. اعتمادالسلطنه، محمدحسن‌خان. روزنامه خاطرات اعتمادالسلطنه. تهران: نشر تاريخ، ١٣٧٠.

٥. انگلبرت كامپفر. سفرنامه كامپفر. ترجمه كيكاؤوس جهان داري. طهران: انتشارات خوارزمي، ١٣٦٣.

٦. بحار الأنوار. ج ٤٥.

٧. بيتر دلاواله. سفرنامه بيتر دلاواله. ترجمه شعاع الدين شفا. طهران: شركة انتشارات علمي وفرهنگي، ١٣٨٤.

٨. جورج لينغ. السياسة والدين في العهد القاجاري. لندن: روتليدج، ١٩٩٣.

٩. جوناثان برنتلي. الدين والسياسة في المجتمع الشيعي. واشنطن: مركز الدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠.

١٠. حاج سياح. خاطرات حاج سياح. تهران: انتشارات اميركبير، ١٣٥٦.

١١. دن گـارسيا دسيلوا. سفرنامه دن گـارسيا. ترجمه غلامرضا سميعي. طهران: نشر نو، ١٣٦٣.

١٢. ريتشارد فراي. تاريخ إيران القديم. ترجمه عبد الرحمن بن عبيد. القاهرة: دار الفكر، ١٩٩٠.

١٣. الشيبي، كاظم. الصلة بين التصوف والتشيع. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٨٢.

١٤. الصدر، محمد باقر. فلسفتنا. النجف: مكتبة الفكر الإسلامي، ١٩٧١.

١٥. العاملي، السيد محسن الأمين. أعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٦٧.

١٦. عباس أمانات. التاريخ الديني والسياسي لإيران. ترجمه سعيد موسوي. طهران: جامعة طهران، ١٩٩١.

١٧. غوبينو. رحلة إلى إيران. ترجمه محمد علي الصفدي. دار النشر الإسلامية، ١٩٨٤.

١٨. محمد رضا نجفي. العلماء والسياسة في العهد الصفوي. طهران: دار الكتاب الفارسي، ١٩٩٥.

١٩. محمد علي كاظمي. الطقوس الدينية والسياسية في إيران القاجارية. طهران: جامعة طهران، ١٩٩١.

٢٠. محمدزاده، علي. تحقيقات در تاريخ ايران: بررسي‌هاي تاريخي و فرهنگـي. تهران: انتشارات فرهنگ پژوهان، ١٣٨٥.

٢١. مطهري، مرتضى. الملحمة الحسينية. قم: دار الفكر الإسلامي، ١٩٨٧.

٢٢. معيرالممالك، دوستعلي. يادداشت‌هايي از زندگـاني خصوصي ناصرالدين شاه. تهران: نشر تاريخ، ١٣٨٢.

٢٣. مكي، حسين. تاريخ بيست ساله ايران. جلد اول. تهران: نشر ناشر، ١٣٦١.

٢٤. النصراوي، حسن. تاريخ الشعائر الحسينية. النجف: مكتبة الغري الحديثة، ١٩٦٩.

٢٥. نوربخش، مسعود. تهران به روايت تاريخ. جلد اول. تهران: نشر علم، ١٣٨٠.